الابل وهو ان يحرك البعير رأسه اذا اسرع فهو من سير النجائب . والصوت صوت الحادي يحثها على الجري فادرج المنشد والنسخ بعده هذا البيت خطأً ضمن الابيات التي يصف بها الاخطل النعام والنعامة يختلفان الى بيضهما يحضنانه خمساً وعشرين ليلة . والمعنى يقتضي ان يقدَّم هذا البيت فيُثبت مع الابيات المختتمة بوصف الناقة

ومعلوم انّ اللغة العربية غنيّة بالالفاظ المترادفة القريبة المعنى . فكان من ينشد الشعر اذا لم يتذكر لفظةً يلتجيء الى غيرها ترادفها او تصاحب البحر او القافية وان اخلّ ذلك بالمعنى كثيرًا او قليلًا . وهذا من اسباب الروايات المختلفة في الشعر العربي . وقد بيّنا ذلك في الابيات التي رواها البكري عن القالي حيث روى الغُبْر بدل الخُضر ومرجب عوض مرحب

ولا اسهل من ان نأتي بامثلة عديدة وردها البكري في كتابه التنبيه . الا انّ نكتفي بما سبق

الثلج في بيروت وسواحل لبنان

نظر الاب فريد شيخو اليسوعي

قمنا صباح الاربعاء في ١١ شباط وإذ بالمدينة مكتسية بحلة ناصعة بيضاء تأخذ بالعين فكان الثلج بسط على سطوحها وشوارعها وكافة احيائها ثرياً يقلّ لم تعهده ابصار اهل بيروت الّا بعيداً على قمم جبلها وما اجمل ما كان منظر الاشجار باغصانها البيضاء على مثل القضبان من أجيّن . وبقي الثلج يتناثر طول النهار كاللآلئ الثمينة فتراكم الثلج اكداساً حتى بلغ عشرين سانتمتراً بنيف اعني قريباً من ثلث الذراع ولم تنفرد بيروت بهذه الهبة التي عمّت كلّ السواحل . فظننا انّ عصاة ساحر رفعت بنا الى ذرى لبنان او ان لبنان نزل من مشرفه ليشركنا ببعض امتيازاته

وبينما كان البرد يقرس قرسه الينا ثوى كثيرون في بيوتهم وتعطّلت عدة اشغال في المدينة حتى صعب الجولان في انحائها ونزلت بعض بنات آوى الى المدينة

ودخل منها واحد في مكتبنا الطبيّ فتساءل كثيرون ماذا يا ترى حلّ في طبقات الجوّ ؟ . قالت البشير في عددها الصادر في غد ذلك اليوم : « هل طربت بيروت واستبشرت بقرب انضمامها الى لبنان فحاولت ان تضاهيهُ في الاحوال الجوّية كما تماثلهُ في الشؤون الادارية والسياسية فتزيّنت بزينة صنينه ولبست ثوب بياضه الناصع وكأنها تنادي وتقول انها تريد ان تكون من لبنان وكلبنان وأنها تأبى الانفصال عنهُ مهما كلّفها الامر حتى ولو تكبدت لاجلهِ من صبارة القرّ فوق ما تتكبدهُ من حمارة القيظ والحرّ » فأحسن به تفاؤلا نتمنّى تحقيقهُ في القريب العاجل

*

وبنسبة هذا الواقع العجيب سألنا كثيرون أورد شيء مثل ذلك في الايام السابقة والسنين السالفة

اجبنا قبل البحث في صفائح التاريخ ان نلقي نحن ايضا هذا السؤال على شيوخ الوطن ممن طعنوا في السنّ وعجموا الدهر حلوهُ ومرّهُ فكان جوابهم بلا اختلاف كما عرفناهُ نحن بالاختبار منذ ازيد من نصف القرن انهم لم يروا بل لم يسمعوا انّ الثلج جلّل سواحل لبنان ببردتهِ البيضاء اللهم الّا بنُتف قليلة كانت تذوب عند مسيلها المحضيض

فقُضي علينا ان نوجّه رائد البحث الى كتب التاريخ وهي اصدق شاهد على حوادث الازمنة الغابرة . على انّ تواريخ سورية القديمة عموما ولبنان خصوصا اعزّ من بيضة الديك فليس لدينا منها غير معجمة الطيب الذكر البطريرك اسطفانوس الدويهي في تاريخهِ الذي طبع منهُ قسمهُ الديني وتاريخ الامير حيدر الشهابيّ المعروف بالغرر الحسان في تواريخ حوادث الزمان الذي طبع في مصر ومنهُ في مكتبتنا الشرقيّة نسخة منقولة عن النسخة الاصلية مع اختلاف كثير عن النسخة المطبوعة ثمّ تواريخ اخرى قليلة منها عمومية كتاريخ ابن الاثير وتاريخ ابي الفداء وتاريخ ابن العبري ومنها خصوصية كتاريخ ابن سباط وصالح بن يحيى . فهذه التواريخ قلما تدوّن الحوادث الجوّية ما خلا الزلازل وكسوف الشمس وظهور المذنبات والسيول . واذا ذكرت الثلوج فذلك استطرادا . اما ما يتناقلهُ البعض بالتقليد عن الشيوخ فلا يعرف تاريخهُ بالتدقيق وربّما خلطوا بين الثلج والبرد او الصقيع كما حدث في ربيع ١٦٨١

حيث وقع بَرَد كثير بلغ كما اخبر الدويهي وغيرهُ وزن البَرَدة اوقيةً وثلثاً فهلك بسببهِ كثير من البهائم وأضرَّ بالاشجار . وكذلك في السنة ١٨٠١ نزل بَرَد كبير وطال نزولهُ نحو الساعة فغطّى قرى الشمال والفتوح وبلغ السواحل فأتلف الزروع وعرّى الاشجار من ورقها الّا انَّ هذه الضربة حدثت ليل ٢٧ ايّار وكفى بذلك دليلًا على انهُ لم يكن ثمَّ ثلجٌ لأن الثلج لا يسقط عادةً الّا في الكوانين

وقد وجدنا في التاريخ ما هو ادلّ واصرح . قال الامير حيدر الشهابي في الغرر الحسان في تاريخ سنة ١٠٧١ ﻫ الموافقة للسنة ١٦٦١ م :

« عندما دخل الشتاء حدث بَرَد عظيم وشتاء زائد وتراكمت الامطار والثلوج التي لم يُسمع بمثلها وزاد الثلج في السواحل حتى تكسرت منهُ الاشجار والزيتون ووصل الى البحر ودام ذلك مدّةً فاشتدَّ الجوع وزاد الغلاء الى ان بلغ ثمن غرارة القمح الاثني عشر غرشاً . ثمَّ بلغ ثمانين غرشاً وانقطع وجود الملح الى ان بيع القنجان بمصريّة (كذا) . ومات اناس كثيرون من الجوع واكلت الناس لحوم الحيوانات الميتة »

وقال في تاريخ شهر كانون الثاني سنة ١٦٨٣ (ص ٤٧٣ من نسختنا) :

« في شهر كانون الثاني حدث برق ورعد واعقبهُ شتاء عظيم وسيول عظيمة حتى حفرت خنادق في الارض ووقع ثلوج زائدة . وكان الحاج في ارض حوران ثمات منهُ كثير من البرد »

وقال ايضاً يذكر حوادث السنة ١٧٧٨ :

« وفي هذه السنة في ١١ كانون الاوّل وقع ثلج عظيم حتّى بلغ حدود البحر بذيف عن شبر وفي دير القمر عن ذراع ونصف »

ومما ورد في نسخة مكتبة الشرقيّة (ج ٢ ص ٣٣٧) ولم يدوّن في النسخة المطبوعة ما حرفهُ يذكر تاريخ السنة ١٢٠٣ ﻫ (١٧٩٨ م) :

« في هذه السنة صار ثلج قوي حتّى صار في ساحل البحر نصف ذراع وكان الحرير سعر الرطل ٢٣ غرشاً وكيلة الحنطة سعر ٣٢ »

*

هذا ما حصلنا عليهِ من آثار التاريخ وفيهِ دلالة على انَّ سقوط الثلج في السواحل مع ندرتهِ ليس بالامر الغريب . ولعل سائلًا يسأل : وهل في سقوطهِ خيرٌ او شرّ . الجواب عليهِ انَّ مجرَّد هبوط الثلج لا يدلّ على بلايا خاصّة بل هو الى الخير اقرب على ما جاء في مثل بعض جهات لبنان « اذا ثلجت فرجت » . والحقّ يقال انَّ في

تراكم الثلج عدّة فوائد فانّ الثلج بسقوطه ينظّف طبقات الجوّ من الجراثيم المضرّة ويقتل الهوامّ والحشرات كالبعوض والذباب والملوش والخالد

ومن فوائده انّه اذا غطّى الارض يصون الحبوب المزروعة ويمنع عنها البرد الجوّي فلا تتلف . ومنها انه على خلاف السيول لا يجرف التربة الجيّدة من اعالي الجبال بل يحبسها بنفوذ مياهه في اعماقها حتّى تروى بمياهه عند ذوبانها (اشعيا ف٥٥)

وكم في الثلج من العجائب في تكوينه في طبقات الفضاء اذ تتصاعد الابخرة من الارض والبحر الى اعالي الجوّ فاذا بلغت علوًا معلومًا فصادفت درجة واطئة جدًا من الحرارة تبلورت تبلورًا ناعمًا كالابر الدقيقة فتتصل ببعضها على اشكال عجيبة هندسيّة اذا فحصها الانسان بالمجهر رآها على صور شتّى وابدع ما يمكن المصوّر تصويرهُ من نجوم مسدّسة الزوايا مختلفة الاغصان في غاية الضبط كأنها رُسمت بالمسطرة والبيكار فسبحان الخالق الذي عدّد العجائب في الكائنات ليوقفنا على لمحة من قدرته غير المتناهية فبكل صواب يدعو الكتاب الثلج الى تسبحة الله

وكم يجد المتلهّون بالثلج سبيلاً لترويح البال واللعب فيتضاربون بكراته او يسيرون على جليده . وقد رأينا احد آباء كليّتنا الذي اسرع فكدّس الثلج واصطنع منهُ تمثالين جليلين غاية في الدقّة والاتقان كأنهما نُحتا في الرخام فأتى كثيرون لمشاهدتهما

وما قولنا على ما ينفعنا بهِ الثلج اذ يخزن لنا مياههُ الباردة الصافية في كهوف الجبل فتسيل الينا طول السنة ولاسيّما في فصول الصيف واشتداد الحرّ ولولاهُ لنضبت العيون وانقطع عن الحيوان اعظم موادّ حياته . وربّما نُقل منهُ الى المدن الساحلية كميّات وافرة يتهنّأ ببرودتها الشاربون

وفي الثلج للادباء موضوع ينبّه مخيّلتهم ويشحذ قريحتهم . ولعلّ اقدم ما ورد في ذلك ما جاء في الكتب المقدسة قال ايوب (٣٧ : ٦) انهُ تعالى يأمر الثلج فيمتثل لامره ويسقط على الارض . وقال النبي والملك داود (مزمور ١٤٧ : ١٦) عنهُ عزَّ وجلَّ انهُ « يعطي الثلج كالجزّة وينثر الصقيع كالرماد » . وروى ايوب عن لسانهِ جلَّ اسمهُ يفتخر بما يخزنهُ للبشر من الثلج فقال : « هل اخترقتَ الى خزائن الثلج ام عاينتَ خزائن البَرَد التي ادّخرتها الى اوان الضرّ . . . هل للمطر من ابٍ ام مَن ولَدَ نُقَط الندى . من بطن مَن خرج الجَمَد ومن ولَدَ صقيع السماء » . وجاء

في سفر يشوع بن سيراخ في وصف الثلج ما يستحسنهُ الادباء ويعدُّونهُ من الكلام الشعريّ (٤٣: ١٩—٢٢) قالَ: « يذري (الرب) الثلج كما يتطاير ذوات الاجنحة وانحدارهُ كنزول الجراد تُعجب العين من حسن بياضهِ وينذهل القلب من مطره ويسكب العصفر كاللح على الارض . . . » . وكم تغنَّى الكتاب بشدَّة بياض الثلج فذكر الانجيل انَّ ثياب المسيح يوم تجليهِ اصبحت بيضاء كالثلج . ومثلهُ الملاك الذي كان عند قبرهِ كان ثوبهُ ابيض كالثلج (متى ١٧ : ٢ و ٢٨ : ٣) . وقال اشعياء النبي في مسا يمنحهُ الله من الغفران للتائبين (١ : ١٨) : « انهُ ولو كانت خطاياكم كالقرمز تبيضُّ كالثلج » . ومثلهُ في المزمور الخمسين : « تنضحني بالزُّوفى فأطهر وتغسلني فأبيضُّ اكثر من الثلج » . وقال سليمان في امثاله يذكر أذى بَرد الثلج وفطنة المرأة القويَّة لتلافي اضرارهِ (امثال ٣١ : ٢١) : « لا تخشى على بيتها من الثلج لأن اهل بيتها جميعهم لابسون الخلل »

وفي شعر ادباء العرب ما يحسن بنا ذكرهُ قال الوزير ابن عبَّاد :

أقبل الثلجُ في غلائل نُورٍ يتهادى بلؤلؤٍ منثورِ
فكأنَّ السماء صاهرتْ الار ضَ وذاك النثارُ من كافورِ

وقال السريّ الرفَّاء :

اخلا بو من عارضي ترك الدجا بيضاء مزنيهِ عرابا ابتما
نثرتْ يدُ الارياح لؤلؤ ثلجهِ فبدا بأجياد الحصون مرصَّعا
وكأنهُ عبثتْ نوى برقهِ سحابهِ فرمت بهِ فتقطعا

وقال بعضهم :

كأنَّ دقيقَ الثلج عند وقوعهِ على الارض قطرٌ او دقيقٌ يُفرَّبلُ

ولآخر :

وكرسفٍ يُدفُّ في الهواء
منتثرٍ لم يَعدُ في استواء مثل فتيَّ القصة البيضاء

وقال كشاجم وهو احسن ما قيل في وصف الثلج :

أالثلجُ يسقطُ ام لُجينٌ يُسبكُ ام ذا حصى الكافور ظلَّ يُفرَكُ
راحت بهِ الارض الفضاء كأنما من كلِّ ناحيةٍ بثغرٍ تضحكُ

او في على خضر الغصون واصبحت كالدرّ في قُضُب الغصون تُسلكُ
مجترّين الاشجارُ منهُ ملاءةً عمّا قليلٍ بالرياح تحنّكُ
كانت كعود الهند غرّيا فاكتست في لون ابيض وهو اسودُ حالكُ
والجوّ من أرَجِ الهواء كأنهُ ثوبٌ يُعنبرُ تارةً ويُمسكُ
فاليوم يوذن لاخذ انهُ سيُطالُ فيهِ ذمُّ الزمان ويُبذلكُ

قلنا وافضلُ من سفك دم الدنان انقطاع الانسان الى امور بيته والصلاة الى ربه في مثل ذلك الوقت

هذا ونسأل الله ان يكون هذا الثلج رائد سلام وخصب بمنه تعالى

ضلال الوهم في الحيوانات والحشرات

لبنا اسكندر شوران البسوعي

ان في اعمال الحيوانات والحشرات صغيرها وكبيرها ما يحملُ على العجب ويقف امامهُ الانسان حائرًا متذهلًا فان بعضها كالنحل والنمل تُبدي براعة غريبة ومعرفة عجيبة في مزاولة الاشغال واتقانها فهي تجتمع جماعات جماعات يسعى كل فرد منها لصالح الجماعة ويعمل لخيرها ولو نظرنا الى ذوات الأثدية لرأينا فيها من الانعطاف والحبّ لصغارها ما يذهل العاقل ويستوقف البصير وكم من امور عجيبة في الطير التي تبني اعشاشها وتحضن بيضها وتغذي فراخها واذا شعرت اسرابها بقدوم البرد تغادر مساكنها الى حيث تجد الشتاء اخفّ وطأةً وألطف بردًا ومثلها الحشرات التي تعتني بالدودة التي تخرج من بزرتها وتعدّ لها قوتها . فاذا رأى الانسان كلّ ذلك تبادر الى ذهنهِ قولهُ : اليس عند هذه المخلوقات شعاعٌ من نور العقل الحقيقي ؟

ولكن لا يسوغ للعاقل ان ينخدع بالمشاهدات فيحكم عنها قبل ان يدرسها درساً مسهباً ويرى ما هنالك من الحقيقة والصواب . وقد تقدّم لنا بحث في غير هذا المكان عن بعض مميّزات الغريزة اثبتنا فيه ان اعمال الحيوانات والحشرات انما ترمي الى حفظ البقاء ودوام النوع فتقدّر اعمالها على قدر حاجتها ولا تستعمل من الوسائط